الأهرام

الحب عند العرب واحد.. وعمق صورته

هى الذوبان من أجل المحبوب

مقام المائة مثلا يغنى فى الصباح فقط .. ومن موشحاته .

نشر الزهر فاح
طير الأيك صاح
اقبل الصباح
الليل ولى

ومقام رمل المائة مثلا يختص بالمساء ومن أزجاله

رونقت هشية حايل
كالذهب ع الارض سايل
وشعار الشمس مايل
للغروب

علمتنى كيف نذوب

. . . . . .

وبتأثر تلحين المالوف التونسى بالوسط المحلى الذى هو من اصل بربرى كما بتأثر بالاختلاط الاندلسى والتركى ،ويبدو ذلك مواقع ادخاله فى هذا التلحين من ارنسات فارسية وتركية مثل جانم وامان ويالالى .. وجانم معناها بالعربية « روحى » وامان كلمة توسل ... ويالالى هى يالليل وقد تحورت لان الجملة الموسيقية اوسع دائرة من الجملة الشعرية .

ويشيع المالوف فى جميع انحاء الشمال الافريقى مع تغيير طفيف فى طريقة الاداء. وبسبب الحساسية الموسيقية للشعب التونسى عشق الناس ام كلثوم .

قلب لزرياب تونس او صالح المهدى رئيس مصلحة الفنون المستظرفة ومدير المعهد الوطنى للموسيقى والتمثيل والرقص واكبر الشخصيات الفنية ثقافة فى تونس ...

— كيف تبدو صورة الحب فى الغناء التونسى القديم ؟

قال — التأثير الاندلسى غالب هنا الحب عند العرب واحد وصورته هى الذوبان من اجل المحبوب ، يعذب على الحب اذا هو اعطى لنفسه مكانه امام محبة فواجبه ان يظل دائما المتفانى المستعطف .

قلت له — هل لموسيقانا العربية طابع .

قال — نعم ..

قلت : ماهى الاسس التى يقوم عليها هذا الطابع

قال : يقوم على ابراز مظهر الارتجال او التصرف والاعادة مع تصرف، وهو ما امتازت به الفنانة ام كلثوم وحدها. وذلك شىء يغبطنا عليه الموسيقيون فى الغرب .. ان الموسيقى الغربية تشعر بالفقر والميكانيكية لعدة اسباب منها انهم خرجوا على الاصول القديمة التى تعتمد التطور فى الميلودية مع تنويع الانغام والمقامات وابتكار الايقاعات . وجنحوا الى توافق الاصوات او البوليفونية التى تتهم الان حقا بانها قد استخدمت كل امكانياتها النظرية ولم تعد تفعل شيئا سوى تكرار نفسها ..

اما نحن فى الشرق .. فقد بقيت لنا امكانيات التصرف والارتجال ، التصرف فى المضبوط وابراز الارتجال ..والارتجال ليس من انتاج المطرب او العازف انما هو من انتاجه ومن انتاج النظارة والسميعة فى آن واحد .. لان التجاوب الروحى الذى يوجد بين الفنان والمستمع هو ذلك التجاوب العلمى الذى يتأتى فى الطبيعة بين الصوت وماقد يوجد حوله من اوتار ..

ان ام كلثوم من الناحية الفنية تمثل الحصن الاخير لطابع الاغنية العربية .

. . . . . .

اكثر الناس استماعا هم الجمهور، واكثرهم رغبة فى الاستماع مع عدم القدرة عليها هو البعثة التى ترافق ام كلثوم .. فى لحظات السحر العظيم الذى كانت ام كلثوم تنشره كالشذا فى الصالة كان محمد السوتى يجلس فى عربة مظلمة مغلقة من عربات التليفزيون لنقل الحفل — وكانت سامية صادق تسرع بميكروفونها فى اتجاه وينطلى فاروق حسن مصور التليفزيون اتجاها آخر..

وفى حفلتها الثانية فى تونس كان عمل البعثة شديد الصعوبة وسط ظروف الزحام الشديد ..

نعم ...

كانت حفلتها الثانية فى تونس شيئا يصعب تصديقه رغم انك تراه بعينيك. لم يكن عدد الجمهور سبعة الاف وانما زاد الفا وقفوا طوال الساعات الخمس فى الممرات التى تفصل بين الكراسى. وتبارى الجمهور فى اظهار تقديره لها : وغنى معها الالاف الثمانية بتحريك الشفاه فى صمت .. وزادت انتكاراتها هى فى اللحن ، وامتزجت الكلمة بالنغم بالاداء بالجمهور بالقرنفل ثم بعد هكذا ان نعرف اين موقع المغنى من موقع الجمهور ولا من اين ينبع السحر ولا من هو المسحور .

لم يحدث من قبل ان عاش الناس موجة الحب بكل فرحه المر والمه العذب كما يعيشها الناس الان فى المسرح الكبير فى تونس . ولم يحدث من قبل ان صارت مصر على كل لسان وكل قلب مثلما هو الان واقع ، وذلك وحده كفيل بأن يوقف المرء على مشارف البكاء .

. . . . . .

اذكر يوما وقفنا فيه كلنا عند حافة البكاء ولم نستطيع ان نحتفظ بتوازننا . يوم ٥ يونيو فى تونس ..

قبلها بيومين فصلت السماء الارض بالمطر ، وقال اهل تونس انها ليست عادة السماء ان تمطر فى مثل هذا الوقت من الصيف . وانتشع سحاب الرابع من يونيو وجاءت الشمس حمراء فى اليوم الخامس ، ووسط موجة الحر الكئيب استقبلت ام كلثوم اليوم الحزين بالصلاة فى مسجد الزيتونة . فصل خلفها الالاف ودخلنا معهم . صلى منا من صلى ووقفت هى بعد الصلاة تدعو.. اى مشاعر عرفها كل مصرى فى هذه اللحظات .ان اعمق المشاعر التى تستخفى من امين الناس سواء بالكبرياء او التحفظ لا طيف ان انهار محلقة من نفسها فى رحاب الله .. وحين وقف الشيخ مصطفى محسن شيخ جامع الزيتونة يدعو ربه لقادة العرب والشعوب العربية فى صبيحة ٥ يونيو لم يعد بين الواقفين احد يستطيع ان يعجز بكبريائه قطرات الدمع المر ..

وانخرطت هى فى نشيج مكتوم وهى تغطى وجهها بيديها ..

ومر نصف اليوم ..

وعشنا نصفه الثانى مع احد شهداء الحرية فى تونس .. فى مقهى المرابط. وهو مقهى اثرى ، سقط صاحبه شهيدا امام الاسبان فدفن فى بقعاء ويعث الله الحياة فى المقهى اذكارا كل ليلة والناشيد وابتهالات دينية ..

القهوة العربية تطوف على الحاضرين.. القهوة فى تونس تنحدر من اصل مهدى صاحب الطريقة الشاذلية الذى كانت كلماته توحى بقرب مهدها من الله ..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

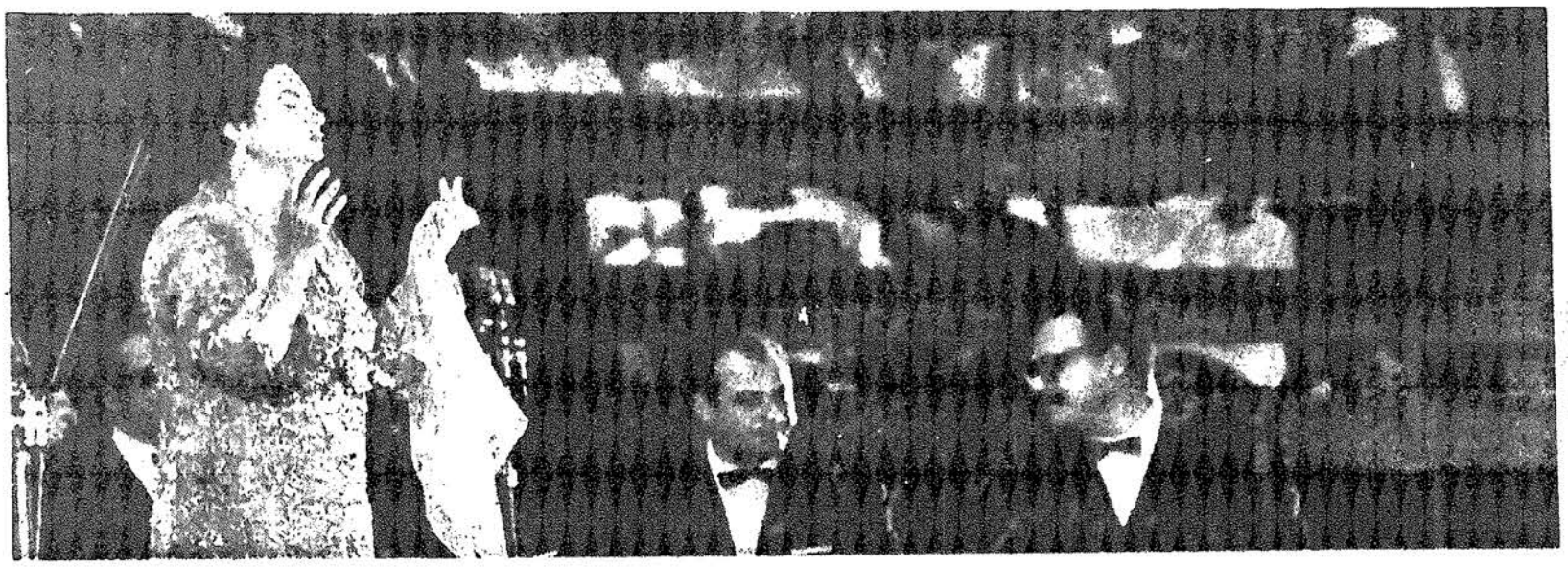

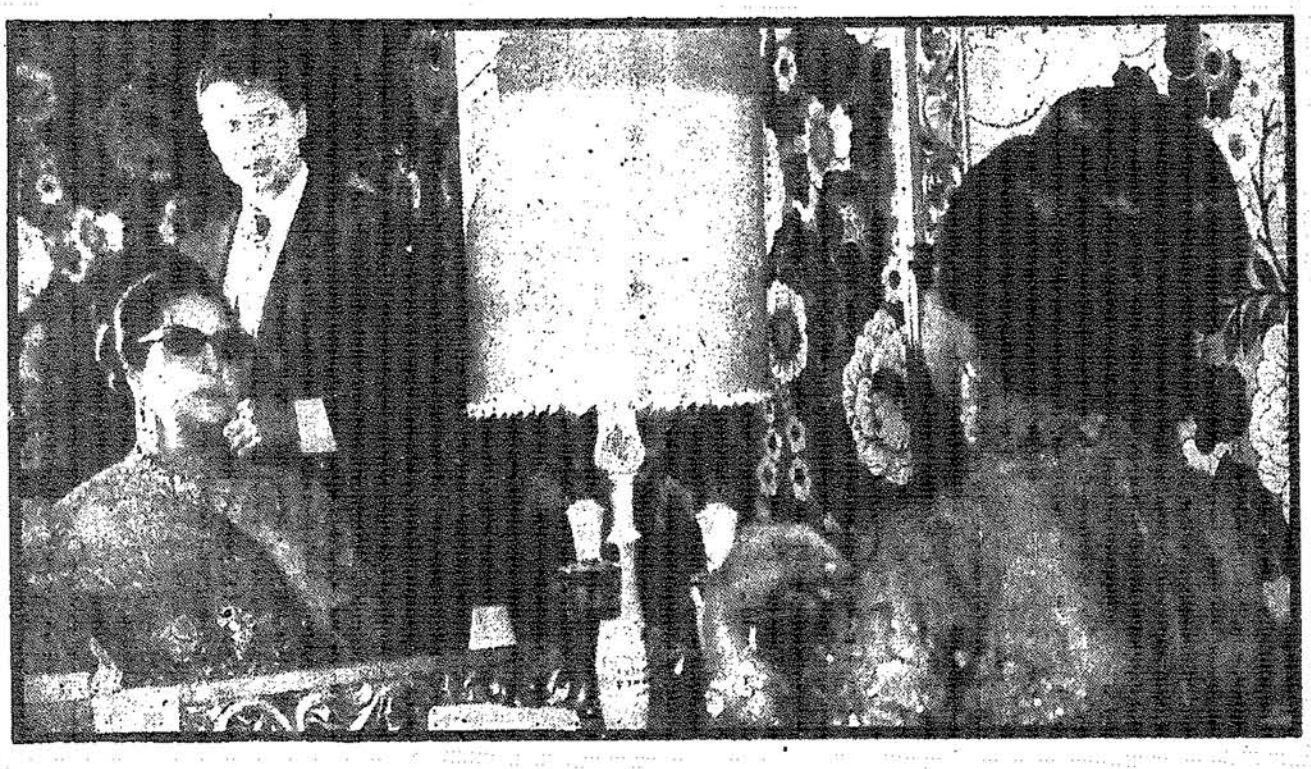

والقهوة مقدسة لانها كانت تعين على السهر والذكر ايام القناديل ، وتناولها مع مخلوق يشبه العهد على الصفاء والنقوى ..

واستقبل المنشدون ام كلثوم بابتهال نبوى قصير يقول

ـ لكم مهجتى والروح والجسم والقلب
وكلى لكم ملك وانى بكم صب
وانتم احبائى على كل حاله فبالفرحى
ان صح لى فيكم الحب .

وتمضى الايام بنا فى تونس .

كل يوم نزور فيه ام كلثوم مكانا جديدا .. من نابل التى تشتهر بالاوانى الخزفية ، الى منطقة الحمامات السياحية التى تشتهر بمسكونها بقعة فيست على الارض ، الى مصنع صغير للاسطوانات ، الى مدارس الفنانة النقوية ، الى دار الرخيم الى دور الصناعات التقليدية التى تمتلئ فيها البنات على صنع السجاد والعباءات المطرزة ، الى القصر الجمهورى فقرطاجة الى ولايات اخرى فى تونس .. وتضع ام كلثوم اعلى وسام فى الجمهورية التونسية ويوضع اسمها على شارع فى حى الفنون ويتجمع الناس لرؤيتها بالساعات خارج المكان الذى تدخله وطوال الوقت يتردد اسم مصر فى تونس .. وطوال الوقت يقدمون لنونهم ورقصهم الشعبى واغانيهم وصناعاتهم التقليدية الينا ، وطوال هذه الزيارات والرحلات لم تكن الماجدة وسيلة تتركه ام كلثوم لحظة واحدة .. ولا وزراء الدولة ومسئوليها ايضا .

وتجىء الليلة الاخيرة فى تونس .. كانت ليلة رائعة قدم فيها وزير الثقافة قصراء تونس الينا ..

ولقد احببت كل الشعراء وحزنى شعر احمد اللغماتى الذى انشده اسام ام كلثوم وقال فيه

ياحبيبى
حينما قدرت فى الدنيا نصيبى
وقصصت العمر النافه فحص المستريب
حينما واجهت ميزان ذنوبى
وبعين المجهر الكشاف عدت عيوبى
كنت لى فى العمر كسبا
وسوى حبك ما انبت ذنبا
وسوى شوقى اليقربك ما اخفيت عيبا
وانا راضى بحظى ونصيبى
وسعيد بذنوبى
وفخور بعيوبى
يا حبيبى ،

بك ايقظت شبابى
وبك استانفت انواقى ، وجددت رغابى
بعد ما اوصدت دون الحب بابى
ومع الاحلام صفيت حسابى
يا حبيبى
لم يكن قبلك شى
يزدهى روحى ، ويرضى مقلتى
وتهاديت بلا وعد الى
فاذا انت بعمرى كل شىء
الضيا اشرق فى ليلى الرهيب
فتبينت دروبى
يا حبيبى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية